(٢٠)

الشيخ أحمد ياسين: رجل بأمة[١]

● الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تفاوت أقدار الناس:

تتفاوت أقدار الناس فى هذه الدنيا تفاوتاً بعيداً، فمن الناس من لا يساوى صفرا، بل إن عدمه خير من وجوده، من الناس من يكون وجوده شراً على نفسه، وشراً على أهله، وشراً على مجتمعه، وشراً على أمته، وشراً على الإنسانية جمعاء، أولئك هم الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ﴿ **الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ [الفجر: ١١ – ١٤].

هناك من لا يساوى صفراً، بل هناك من عدمه خير من وجوده، وهناك من يساوى كسوراً من الرجال، نصف رجل! ربع رجل! عشر رجل! واحداً فى المئة أو فى الألف من رجل، كثير من هؤلاء الذين تراهم يأكلون ويشربون ويتمتعون، ﴿ .. **يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾ [محمد: ١٢]، أولئك أناس نراهم يعيشون ويموتون وليس لهم هدف ولا رسالة، هؤلاء أصناف نراها من الغافلين عن حقيقة أنفسهم، الغافلين عن مصيرهم، الغافلين عن أعظم قضية فى الوجود.. قضية المصير، قضية الآخرة والجنة والنار، هؤلاء نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أنساهم حقيقة ذواتهم، فلا يعرفون من هم ولا ما هم، هذا صنف من الناس.. كُسُور من البشر لا تبلغ واحداً صحيحاً.

لماذا يعيش المسلم؟

وهناك من البشر من يعيش إنساناً صحيحاً، هو إنسان واحد، هذا هو الذى عرف لماذا يعيش؟ لماذا يحيا الإنسان؟ لماذا خُلِقَ هذا المخلوق الذى آتاه الله

---

(١) ألقيت فى مسجد عمر بن الخطاب، فى ٥ من صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٦ مارس ٢٠٠٤م.

من المواهب والقدرات والملكات الروحية والمادية والعقلية والنفسية، وسخر له ما فى السماوات والأرض جميعاً منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، أنزل له الكتب، وبعث له الرسل؟ عرف لماذا يعيش. يقولون فى الأمثال: (الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش)، الأحمق كل مهمته وهدفه وغايته: أن يأكل ويتمتع بألوان من الأكل، يملأ بطنه كما يملأ الثور والأنعام بطونها، هذا أحمق. أما العاقل فقالوا: إنه يأكل ليعيش.

ولكن هذا لم يحل العقدة، لأنه سيظل هناك سؤال مطروح: هذا العاقل يأكل ليعيش. فلماذا يعيش؟ هل العيش فى ذاته غاية؟ هل الحياة فى نفسها هدف؟ لابد أن يسأل الإنسان نفسه: لماذا أعيش؟ لماذا أحيا؟ العيش وسيلة، هل هناك من هدف وراء هذه الحياة؟ هل هناك من رسالة لهذه الحياة؟ نرى كثيراً من الناس – فى أوروبا وأمريكا وغيرها من البلاد – لا يعرفون للحياة معنى، ولا يتذوقون لها طعماً، ولا يعرفون لها هدفاً، يشعرون بالتفاهة والضياع، ولذلك ما أسرع ما يتخلصون من هذه الحياة لأدنى سبب بالانتحار، الحياة لا تستحق أن يعيش الإنسان لها، ويعانى من أجلها، هؤلاء معذرون، لأنهم لا يعرفون لهم هدفا فى الحياة، المؤمن يعيش لهدف، أن يعرف الله ويعبده، إذا كان الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش، فالمؤمن يعيش ليعرف الله حق المعرفة، ويعبده حق العبادة، ويتقيه حق التقوى.

معرفة الله:

يقول الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ** ﴾ [الطلاق: ١٢]. لماذا خلق هذا العالم العلوى والسفلى بسماواته وأرضه؟ ﴿ **لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق: ١٢]، أى: أن تعرفوا الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأبرز هذه الصفات: أنه محيط بكل شىء علما، ومحيط بكل شىء قدرة، فإذا عرفنا الله أدينا له حقه، وحقه: أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئا، لا يستحق العبادة من الإنسان إلا الله وحده، لا شىء فى الأرض ولا فى السماء يستحق أن تحنى له ظهرك، أو تطأطئ له رأسك، أو تُعَفِّر له جبهتك، أو تمد يدك إليه متضرعًا،

أو تذل له وتخشع، لا أحد إلا الله، هو صاحب النعم العظمى، يكفى أنه هو الذى خلقك فسواك، وقدر لك فهداك، وأنعم عليك بنعم تغمرك من قرنك إلى قدمك، الله هو صاحب النعم العظمى: نعمة الخلق والحياة، والإيجاد والإمداد، الذى علمك البيان، وأعطاك العقل والإرادة، وهيأ لك ما هيأ، هو وحده الذى يستحق العبادة، فلابد أن تتحرر من العبودية لغيره، وتخلص له العبادة وحده، تعبده وحده، وتستعين به وحده، ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٥].

كانت رسالة الإسلام تحريراً للبشرية من ذل العبودية لغير الله، العبودية للأشخاص، والعبودية للأشياء، والعبودية للذات وللهوى، والعبودية لأى شىء إلا لله، هذا هو التحرر الحقيقى، ولذلك كان النداء الأول فى كل رسالة من رسالات الأنبياء: ﴿ .. **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** .. ﴾ [الأعراف: ٥٩].

المؤمن بين عبادة الله وخلافته فى أرضه:

رسالة المؤمن فى الحياة: أن يعرف الله تعالى ويعبده، وأن يكون خليفة له فى أرضه، إنى جاعل فى الأرض خليفة، هذه المنزلة التى اشرأبت إليها أعناق الملائكة، ورنت إليها أبصارهم، وقالوا: ﴿ .. **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٣٠]، أنتم لم تهيأوا لهذا، ليس عندكم غرائز، ولا هذه الأشياء، ولا تصلحون لعمارة الأرض، خلقتُ مخلوقًا هو الذى سيقوم بهذه الخلافة، هو آدم وذريته، الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، ومن تمام هذه الخلافة: أن يعمر الإنسان أرض الله، يعمرها بالعلم والعمل، والإصلاح والتنمية، ﴿ **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا** .. ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿ .. **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** .. ﴾ [هود: ٦١]، استعمركم: أى طلب إليكم أن تعمروها ولا تخربوها، وأن تصلحوها ولا تفسدوها، وتحيوها ولا تميتوها، لهذه الأهداف الكبيرة يعيش الإنسان.

وكلما اتضحت هذه الأهداف للإنسان، وكلما أعد لها العدة ليقوم بخدمة هذه الأهداف وتحقيق هذه الأهداف، فى نفسه، وفى الحياة من حوله، وكلما

اتسعت دائرة النفع به: كانت قيمة الإنسان، فليس من يعمل لنفسه كمن يعمل لغيره، وليس من يعمل لقريته كمن يعمل لأمته، وليس من يعمل لأمته كمن يعمل للإنسانية جمعاء.

منزلة المرء على قدر إيمانه:

الناس يتفاوتون، وعلى قدر إيمان المرء تتفاوت منزلته، هناك أناس آتاهم الله من الإيمان ما يستطيعون أن يواجهوا به المشكلات، ويتخطوا به العقبات، ويصنعوا به ما يشبه المستحيلات، ولذلك قالوا: فرد ذو همة، يحيى أمة، وقال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا** .. ﴾ [النحل: ١٢٠]، هناك أفراد كبار الفرد منهم بأمة، الشاعر العربى يقول:

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى

هناك ألف بواحد وهناك واحد بألف، وهناك واحد بأكثر من ألف، بمجتمع بأسره، بقطر بأسره، بأمة بأسرها، الناس يتفاوتون، بماذا يتفاوت الناس؟ هل بضخامة أجسامهم؟ لأنهم أبطال فى الملاكمة أو فى المصارعة أو غير ذلك؟ وما قيمة أن تكون بطلاً فى الملاكمة، أو المصارعة، أو ألعاب القوى، أو الكرة، أو فى أى شىء من هذا ولا تقدم لمجتمعك شيئاً؟ تخاف على جسمك أن تعالج به مشكلة أن تبذله فى خدمة الحق والخير ما قيمة هذا؟ هذا هو الذى يقال له:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ويقول النبى ﷺ فيما رواه البخارى: «يأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة» عظيم سمين طويل عريض فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثم قال: اقراءوا إن شئتم ﴿ .. **فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** ﴾ [الكهف: ١٠٥][1]، لا وزن لهم عند الله.

كان عبد الله بن مسعود أحد أئمة الصحابة، وأحد علماء الصحابة، وأحد السابقين الأولين، وكان رجلاً قصير القامة، نحيل الجسم، دقيق الساقين،

---

(١) رواه البخارى فى التفسير (٤٧٢٩) ومسلم فى صفات المنافقين (٢٧٨٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

صعد يوماً على شجرة فبدت ساقاه، وبدت هاتان الساقان نحيلتين هزيلتين كأنها عصيّ، فضحك الصحابة، فقال النبى ﷺ: «مم تضحكون؟ قالوا: يا نبى الله من دقة ساقيه! فقال: والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد»[1] الساقان النحيلتان النحيفتان الهزيلتان أثقل فى الميزان من جبل أحد! نعم، فالناس لا يوزنون بحمل أجسامهم من لحم، بل بما تحمل قلوبهم من علم وإيمان، فالله تعالى قال عن المنافقين: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ** .. ﴾ [المنافقون: ٤] وقال العرب: ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدخل؟

الشيخ أحمد ياسين رجل بأمة:

أقول هذا بمناسبة وداعنا أيها الإخوة لهذا الشيخ الجليل أحمد ياسين، هذا الرجل الذى عاش عمره قعيداً على كرسى لا يتحرك إلا بمحرك يحركه، ولا يستطيع أن يفارق هذا الكرسى إلا بمن يعينه، هذا الرجل الأشل الضعيف هو الذى زلزل الطغمة الطاغية الباغية فى الكيان الصهيونى، هو الذى أدخل الرعب فى قلوبهم، هو الذى حرك مسيرة الجهاد فى غزة والضفة الغربية، هو الذى أسس حركة المقاومة الإسلامية.

هذا الرجل الأشل الجسم لم يكن أشل العقل، ولا أشل الإرادة، كم من أناس فى دنيانا أصحاء الأجسام، مراض العقول، مراض الإرادة، ولكن هذا الرجل كان صحيح العقل والفكر، كان صحيح الإرادة والعزم، ولذلك عاش عمره فى تعليم الدين، وفى تجميع الشباب على الإيمان، وفى تربيتهم على أخلاق الإسلام، وفى أن يملأ صدورهم حماسة لهذا الدين، ويشعل فيهم هذه الجذوة التى انتهت بهم إلى أن يعيشوا حياة الجهاد.

الشيخ أحمد ياسين القعيد الأشل الذى زلزل إسرائيل وأمريكا والطغاة فى أنحاء العالم، يعد نموذجاً للإنسان المؤمن، عاش عمره لهدف ولرسالة، ليس كأولئك الذين يعيشون لبطونهم وفروجهم، أو أولئك الذين يعيشون لمناصبهم، أو يعيشون من أجل كرسيهم، يعبدون الكرسى لا يشركون به شيئاً، من أجل الكرسى يقدمون تنازلات وراء تنازلات، من أجل الكرسى لا يستطيعون أن يقولوا:

---

(١) رواه أحمد (٣٩٩١) عن ابن مسعود، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

لا مرة واحدة، كما قال عمر بن الخطاب: (يعجبنى من الرجل إذا سِيمَ الخسف – أى طلب منه الذل – أن يقول بملء فيه: لا). هؤلاء العبيد لا يستطيعون أن يقولوا: لا، إلا من رحم ربك منهم، وقليل ما هم.

إرادة صلبة وعزم لا يلين:

أحمد ياسين كان رجلاً بأمة، زارنا فى قطر، واستمعتم إليه هنا فى هذا المسجد بعد الصلاة، وزار عدداً من البلاد العربية بعد أن أطلق سراحه، وقد عاش سنين طويلة فى سجون الصهاينة، ولكنه ما خضع ولا لان، ولا وهن ولا استكان، كان كالذين قال الله فيهم: ﴿ ..**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، طالما عرض عليه الإسرائيليون أن يتنازل بعض الشىء ليطلقوا سراحه، ويفكوا أسره، ويخلوا سبيله، ولكنه أبى.

كان صاحب إرادة، كان قادراً على أن يقول: لا، هذا أحمد ياسين. كان فى السجن صابراً مصابراً مرابطاً، وكان بعد السجن صابراً مصابراً مجاهداً مصمماً على أن يحرر أرضه من هذا الرجس الذى لوثها، مصمماً على ذلك، قال مناحم بيجن فى كتابه (التمرد): أنا أحارب إذن أنا موجود! فقال الشيخ أحمد ياسين: وأنا أقاوم إذن أنا موجود. الذى يدل على وجودى: هو المقاومة، ولذلك أنشأ حركة المقاومة الإسلامية لتقوم بدورها فى الجهاد والمقاومة، والمدافعة والتحرير لأرض المقدسات والنبوات، لأرض الإسراء والمعراج، لأرض المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله.

المعلم والمجاهد والعابد:

عاش الشيخ ياسين معلماً مجاهداً عابداً. قال سيدنا عمر رضى الله عنه: (لولا ثلاث لما أحببت البقاء فى هذه الدنيا: أن أحمل أو أجهز جيشاً فى سبيل الله، وأن أكابد الليل – يقوم الليل فى الأسحار – وأن أعيش مع أقوام من أهل العلم؛ ينتقون أطايب الكلام كما تنتقى أطايب الثمر). هذه هى الثلاث التى من أجلها أحب عمر البقاء، لولا هذه الثلاث لما أحب البقاء فى الدنيا: الجهاد

والعبادة والعلم، وقد عاش الشيخ أحمد ياسين للعلم، عاش معلماً ومربياً، وعاش عابداً قانتا لله تعالى، وظل يعبد ربه حتى أتاه اليقين.

ميتة شريفة:

كان الشيخ ياسين قد تعب كثيرا من مرض ألم به، فاضطر أن يدخل المستشفى، ورأى الأطباء أن الشيخ فى حاجة إلى أن يبقى فى المستشفى عدة أيام، ولكنه أبى، فقد يعلم الصهاينة بوجوده فيه، فيحاولون أن يضربوه فيه، فيموت أعداد من الناس لا ذنب لهم.

كان الشيخ يستطيع أن ينجو أيها الإخوة لو كان ممن يحرصون على حياة؛ أى حياة، كالذين قال الله عنهم: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ..** ﴾ [البقرة: ٩٦] لو كان حريصاً على أى نوع من الحياة لاستطاع أن يتجنب هذه الميتة التى ماتها، كان يستطيع أن يتنقل من مكان إلى مكان ويعمى على الطغاة الصهاينة، وأن لا يصلى فى المسجد، ولكنه أصر وصمم على أن يبقى فى بيته، وأن يصلى فى المسجد القريب منه، ويصلى الصلوات الخمسة كلها فى المسجد حتى الفجر، وقد مات بعد أدائه لصلاة الفجر فى الجماعة، وقبل الفجر طلب بعض اللقيمات ليتسحر للصيام، فقيل له: إن صحتك لا تساعدك، فصمم على أن يصوم. وبهذا لقى ربه متوضئا مصليا مسبحا صائما!! ما أعظمها من نفس! وما أكرمها من نفس! تصمم على ما عاشت له، لتعيش عليه، وتموت عليه، وقدر الله له أن يموت هذه الميتة الشريفة، ليختم له بالشهادة.

عاش سعيدا ومات شهيدا !

نحن نقول فى أدعيتنا التى علمها لنا النبى ﷺ: «اللهم إنا نسألك عيش السعداء، وموت الشهداء، والفوز فى القضاء، والنصر على الأعداء»[1] وقد عاش الشيخ عيشة السعداء، لم يكن يعيش عيشة الأغنياء ولا المترفين، ولكنه كان سعيداً بإيمانه، سعيداً برسالته، سعيداً بأبنائه؛ أبنائه من صلبه الأحد عشر،

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ٤/ ٩٥ رقم (٣٦٩٦) ط دار الحرمين. ورواه ابن خزيمة فى صحيحه بلفظ: (اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء) وذكره الألبانى فى صحيح ابن خزيمة (١١١٩).

وأبنائه الروحيين وما أكثرهم! الذين رباهم على الجهاد، ورآهم أمامه يقدمون أرواحهم، ويضعون رؤوسهم على أكفهم، ويفجرون أنفسهم فى عدو الله وعدوهم، ألا يعيش سعيدا من رأى ثمرة عمله؟! إنه كان من أسعد السعداء رغم ضيق عيشه. لو أراد الملايين لجاءته الملايين، ولكنه عاش فى بيته المتواضع، وفى حياته التى بدأها، وظل عليها إلى أن مات، ثم قدّر الله له أن يموت شهيداً، وأى شهادة؟!

إن الشيخ أحمد ياسين ليس كأى شهيد، إن العصابة المجرمة - عصابة شارون السفاح ومن معه - أبت إلا أن تنتقم من الشيخ ياسين فتقتله - فيما زعموا - شر قتلة، ولذلك ضربوه بثلاثة صواريخ أمريكية الصنع من طيارة الأباتشى كما يسمونها، تحميها مقاتلة أمريكية إف ١٦، ضربوا هذه الصواريخ على الشيخ ومن حوله، حتى مزقت جسده الطيب الطاهر شَذَر مَذَر، هل رأيتم جسد الشيخ أحمد ياسين؟ هل رأى أحد وجهه؟ هل رأى أحد له جسدا؟! لقد تمزق هذا الجسد الشريف الطهور، مزقته صواريخ أمريكا، ولذلك قالوا فى الأخبار: دفنوا ما بقى من جثمانه، خطط لذلك شارون بنفسه، وأشرف على العملية بنفسه، وظل يتابعها حتى تمت، ثم هنأ القائمين على هذه العملية، علام تهنئون أيها الأنذال، أيها الجبناء؟! قتلتم رجلاً قعيداً بهذه الترسانة الهائلة، وبهذه الإمكانيات الهائلة، هل فى هذا شجاعة أو بسالة، الأمر لا يحتاج إلى تهنئة.

قال أحد الإخوة: لن يشفى غليلنا فى الشيخ أحمد إلا قتل شارون، قلت له: وهل شارون كفء للشيخ أحمد؟ نحن نقول له: بُؤْ بشسع[1] نعل أحمد، كما قال المهلهل ابن ربيعة - وقد قتل أحد أبطال بكر بن وائل، فقالوا له: هذا بأخيك كليب؟ قال: بأخى كليب؟ -: ليبؤ بشسع نعل كليب! ونحن نقول: شارون بشسع نعل أحمد ياسين. أحمد ياسين رجل والرجال قليل فى هذه الدنيا، بطل من أبطال هذه الأمة، لا يكفينا فيه عشرات، ولا مئات، ولا ألوف من هؤلاء، ونحن لسنا طلاب ثأر، ولكنا طلاب حق. الذى يكفينا فيه: أن

---

(١) الشسع: هو ما يربط به النعل.

تتحرر فلسطين، كل فلسطين، وتتطهر من رجس الغاصبين الظالمين، هذا هو الذى يشفى غليلنا.

بركة الشيخ أحمد ياسين حيا وميتا:

كان الشيخ أحمد ياسين رجلاً مباركاً فى حياته، وكان رجلاً مباركاً فى مماته، لقى ربه شهيداً، وصدق ما عاهد الله عليه ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿ . . **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٤ – ٧]، بعد أن ذكر الشهداء طلب النصر، أن ننصر الله لينصرنا الله.

أمنية محققة:

لقى أحمد ياسين ربه، حقق الله له أمنيته التى كان يطلبها فى سجوده ويطلبها فى حياته. وكم نتمنى أيها الإخوة أن يختم الله لنا كما ختم لأحمد ياسين: أن نلقى الله شهداء فى سبيله. «سمع النبى ﷺ رجلاً يقول: اللهم آتنى أفضل ما آتيت عبادك الصالحين، فقال له: إذن يعقر جوادك وتُستشهد»[1] هذا أفضل ما آتى الله عباده الصالحين، أن يضحى بنفسه وماله فى سبيل الله، حتى جواده يعقر.

شفاء غليلنا فى تحرير الأقصى:

الذى يشفى غليلنا أن تتحرر فلسطين، والذى يشرح صدورنا أن تتحد فلسطين، ويتوحد أبناء فلسطين. وهذا من بركات موت الشيخ أحمد ياسين، الذى كان مباركا فى حياته، وكان مباركا فى مماته. فمن بركة موته: أن وقفت الفصائل الفلسطينية كلها، الإسلاميون منهم والوطنيون حسب التقسيم الذى يقسمونه، حماس أو كتائب عز الدين القسام، وكتائب الأقصى، وسرايا القدس،

---

(١) رواه أبو يعلى، والبزار بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى (٥/٢٩٥)، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وصحّحه، ووافقه الذهبى. (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوي: ١/٤٠٧ برقم ٧٥٤).

وكتائب الشهيد أبو على مصطفى، والجبهة الشعبية.. كل هؤلاء قالوا: سنثأر للشيخ أحمد ياسين، وحق لهم، الثأر ليس لشخص الشيخ أحمد ياسين، ولكن للمعنى الذى يمثله أحمد ياسين، فقد كان رمزاً لقضية، هذه القضية طالما نسيت فى محيط العرب والمسلمين، فكان من بركات الشيخ أحمد ياسين: أن تحيا هذه القضية فى غمرةالأحداث، التى تنزل بالمسلمين هنا وهناك، فى العراق فى أفغانستان، فى باكستان، فى كشمير، فى الشيشان، فى غمرة هذه الأحداث نسى الناس قضيتهم الأولى قضيتهم المحورية قضية فلسطين، فكان موت الشيخ أحمد مذكرا بهذه القضية الحيوية المركزية، التى هى قضية العرب والمسلمين الأولى، ذكر الناس هذه القضية وأصبحت حديث كل لسان، وأصبح الخطباء على منابرهم، والكتاب فى صحفهم، والزعماء فى لقاءاتهم، يتحدثون عن قضية فلسطين، ويجب أن تظل قضية فلسطين مذكورة لا تنسى، حية.لا تموت، قوية لا تضعف، هذا هو الذى يجب على أمة العرب والإسلام.

ما نطلبه من قمة العرب المرتقبة!:

هناك عن قريب ستعقد قمة عربية فى تونس، تجمع زعماء العرب فى المشرق والمغرب[1]، وهذه القمة عليها مسؤولية كبيرة تجاه قضايا العرب كلها وعلى رأسها قضية فلسطين، نقول لزعماء العرب وقادتهم: آن لكم أن تعرفوا واجبكم نحو هذه القضية، عار عليكم يا عرب، عار عليكم أن تنسوا هذه القضية، حرام أى حرام أن تنشغلوا بمناصبكم وكراسيكم وتنسوا هذه القضية الأولى، وتدعوا إخوانكم فى أرض الجهاد والرباط يخوضون المعركة وحدهم، يواجهون ترسانة إسرائيل المؤيدة بقوة أمريكا، وسلاح أمريكا، ومال أمريكا، لا يجوز فى منطق الدين، ولا منطق الوطنية، ولا منطق القومية، ولا منطق الشرف والرجولة، ولا منطق المصلحة المحلية لكل بلد: أن تدعوا إخوانكم، أن تخذلوهم، أن تتخلوا عنهم.

---

(١) طلب الشيخ هذه المطالب من القمة قبل انعقادها، وقد كان يرتقبها كما كانت ترقبها الأمة الإسلامية، إلا أننا انتظرنا سرابا، فقد تأجلت القمة إلى أجل غير مسمى، مما أصاب الشعوب العربية بإحباط وخيبة أمل.

للأسف يظن كثير من الزعماء: أن القضية قضية الفلسطينيين وحدهم، وهذا وهم، كنا نظن أن الأمة تحررت منه من قديم، بعد دراسات معمقة، موسعة، أثبتت أن إسرائيل ليست خطراً على فلسطين وحدها، بل هى خطر على العرب كلهم، وخطر على المسلمين جميعاً، من إندونيسيا إلى المغرب، إسرائيل خطر عسكرى، وخطر اقتصادى، وخطر سسياسى، وخطر ثقافى، وخطر دينى، حتى هى خطر دينى، إسرائيل خطر على الجميع.

كيف تركوا الفلسطينيين وحدهم يذوقون المرارة، ويتجرعون كؤوس هذا الأمر، دون عون يذكر من إخوانهم؟ حتى المعونات التى كانت تصل إليهم لم تعد تصل، لا حكومية ولا شعبية، حتى المعونات الشعبية جففوا منابعها، هكذا أرادت أمريكا، اعتبرت المؤسسات الخيرية والجمعيات الخيرية مؤسسات إرهابية، لأنها تمد المقاومة، وتمد الانتفاضة بما يجرى الدم فى عروقها ويبقى عليها الحياة.

واجب الحكام العرب والمسلمين نحو فلسطين:

هل نستجيب لوساوس أمريكا، وهواجس أمريكا، وأوامر أمريكا؟ نقول لهم رغباتكم أوامر، وإشارتكم حكم واجب الاتباع؟! هل هذا يليق بأمة العرب والإسلام؟ بخير أمة أخرجت للناس، يليق بها أن تحنى رؤوسها وتقول: نعم لكل ما يطلب منها؟ لا تجرب أن تقول: لا، مرة واحدة!

إننا ننادى قادتنا وزعماءنا وساستنا الذين سيجتمعون عن قريب فى تونس، نناديهم: أن يقوموا بما يفرض عليهم دينهم، وتفرض عليهم قوميتهم، وتفرض عليهم رجولتهم، وتفرض عليهم الأخلاق والأعراف وكل القيم، وما يفرضه عليهم هذا لابد أن يقوموا بواجبهم، ويشدوا أزر إخوانهم، ويرفضوا ما يملى عليهم، هذا هو الواجب.

هناك أيها الإخوة آلاف من الأسرى والسجناء والمعتقلين فى سجون إسرائيل، آلاف مسجونون بغير حق، لماذا لا يطالب هؤلاء القادة بالإفراج عن هؤلاء، بفك أسر هؤلاء، لماذا يُسكت عن هؤلاء؟ لماذا لا يمدون إخوانهم بالحد الأدنى مما يمسك عليهم حياتهم؟ إخواننا فى أرض الجهاد والرباط لا يكادون يجدون القوت، بطالة استمرت، حصار إسرائيلى دمر عليهم حياتهم، جرف مزارعهم، حرق أراضهم،

ودمر بيوتهم، خلع أشجار الزيتون المعمرة، بعضها من عهد الرومان قبل الإسلام، خلع هذه الأشجار، يريدون أن يجوعوا هذا الشعب، ويذيقوه المر، حتى يركع لهم، ويذعن لإرادتهم، وهذا الشعب صابر لا يجزع، آمل لا ييأس، عزيز لا يذل، يتجرع آلام الحصار والتجويع بنفسية المؤمن الذى يعلم أن للحرية ثمنا لا بد أن يدفعه، ويعلم أن كل ما يصيبه إنما هو فى سبيل الله كما قال الله تعالى: ﴿ .. **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [التوبة: ١٢٠].

قادتنا قادرون على فعل الكثير:

والله إن قادتنا يستطيعون أن يفعلوا الكثير إذا وضعوا أيديهم فى يد الله، ووثقوا بالله، وتوكلوا على الله، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم، ثم وضعوا أيديهم فى أيدى شعوبهم، ولم يتخلوا عن هذه الشعوب، لم يقفوا فى واد وشعوبهم فى واد، فهذا يضعفهم ولا يجعل لهم أى قوة، الذى يشد أزرهم، ويسند ظهرهم، ويعطيهم القوة: أن يستندوا إلى الله، ثم أن يستندوا إلى الشعوب، من فعل ذلك فقد لجأ إلى ركن ركين، فقد تحصن بحصن حصين، فقد لاذ بملاذ، وعاذ بمعاذ، ﴿ .. **ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [آل عمران: ١٠١].

نريد لنسائم الحرية أن تهب على الشعوب:

يا قادة العرب: إن هذه الأمة كتب الله لها الخلود، إنها الأمة الأخيرة الباقية إلى أن تقوم الساعة، وهى أمة الأمم، وخير الأمم، وأنتم المسؤولون عنها، لماذا لا تستمدون قوتكم منها؟ اصطلحوا على هذه الشعوب، وافتحوا لها أبواب الحرية، لن يصنع القوة لهذه الشعوب إلا أن تهب عليها نسمات الحرية، ما دامت مصفدة الأيدى، مغلولة الأعناق، مقيدة الأرجل، فلن تستطيع أن تفعل شيئاً، الحرية خير لكم ولشعوبكم، ولكنها الحرية المسؤولة، نريد حرية منضبطة، لا حرية هوجاء، تسفك الدماء بغير حق، وتأخذ البرىء والمسىء معاً، لا، إنما نريد حرية التعبير،

حرية الرأى، حرية الصحافة، حرية الاجتماع، حرية النقد، حرية تكوين النقابات والأحزاب. نريد هذه الحريات التى كفلتها مواثيق حقوق الإنسان، وكفلتها المواثيق الدولية، وكفلها الإسلام قبل ذلك، فالإسلام لا يجيز أن يتحكم الحكام فى رقاب الناس، لأن الأمة إذا كانت أمة من العبيد لا تستطيع أن تنجز شيئاً، لا تستطيع أن تحقق هدفاً، لا تستطيع أن تهزم عدواً، الأمة القادرة على هذا هى الأمة الحرة، رضى الله عن عمر حينما قال لعمرو بن العاص: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا !).

الحيلة لنجدة المسلمين:

كان موت الشيخ أحمد ياسين أيها الإخوة بركة لهذه الأمة، وبركة للقضية التى نذر حياته لها، وعاش من أجلها، ومات فى سبيلها؛ قضية فلسطين، كان موته خيراً وبركة، أحيا هذه القضية وذكر بهذه القضية، وأصبحت هذه القضية هى قضية الأمة الآن، قضية شعوب الأمة فى كل مكان، من جاكرتا إلى الرباط إلى موريتانيا، هذه الأمة كلها يجب أن تذكر هذه القضية، وتشد أزر هذه القضية. علينا أن نشد أزر إخواننا بما نستطيع من مساندات وتبرعات ما أمكننا ذلك، صحيح أن الطرق مغلقة، والأبواب مسدودة، ولكنا نستطيع أن نتحايل على هذا كله أيها الإخوة.

وعلينا أن نقاطع البضائع الصهيونية والأمريكية والبريطانية[1]، هؤلاء لا يجوز لنا أن نشترى منهم، وأن ننفعهم بفلس واحد، لأن أى ريال يكسبونه منا سيتحول إلى رصاصة تنطلق فى صدر إخواننا، لا يجوز أن ينتفعوا منا بشىء، وأن ندعو الله تبارك وتعالى لهم فى سجودنا، فى خلواتنا، فى أسحارنا، عسى الله عز وجل أن ينصرهم على عدوهم نصراً مبيناً، وأن يفتح لهم فتحا مبينا، وأن يهديهم صراطا مستقيما.

* * *

(١) لفضيلة الشيخ فتوى مفصلة أصدرها الشيخ منذ فترة، وضمنها سفره القيم فتاوى معاصرة الجزء الثالث / ٤٩٧، كما ضمنها الشيخ فى كتابه فتاوى من أجل فلسطين، طبع مكتبة وهبة.